عرقي او ديني ، هي الحل الطبيعي للتناقض : لا نها تزيل اسبابه . وفي الحالة الثانية (براءة الطرف العربي)، يكون الحل الطبيعي هو في الكف عن الغفلة وحسن النية ، وفي التفاهم مع القوى الانسانية المناهضة للعنصرية والطغيان . ومن الواضح ان الرواية تبنت ، في اخرها ،الحل الثاني،ولكن ليس فيها ما ينفي الحل الاول او يستبعده .

٢ ـ النقيض هو صراع على ارض ، ووجود طرفين عانى كل منهما وتعذب ،وكل منهما واثق في داخله من قوة حججه ومن قوة ولائه للشيء المتنازع عليه،وكذلك من شدة حاجته الى هذا الشيء.

فالفلسطيني العربي هو ابن الارض البار لم يفكر بسواها ولا يستطيع ان يعيش خارج اطار ثراها الندى وهوائها النقي وسمائها الصافية الخيرة في وقت واحد . لقد اقتلع من ارضه وتشرد وتقلب في التجربة . ولكن وجوده يظل ناقصا ما دام بعيدا عن الارض . وهو لا يشك،حين يتحدث ببراءة كاملة ويقينية تامة،في ان القدس بلده وحيفا بلده ويافا بلده .

وبالمقابل ، هناك اليهودي الصهيوني الذى تعذب وتشرد ، والقي في روعه دائما ان منجاته في ارض فلسطين،وان وطنه هناك وخلاصه وسعادته . واتت الحرب العالمية الثانية وموجة الاضطهاد التي صاحبتها ، لتؤكد لليهودي ان نعيمه هناك في فلسطين (خارج نطاق اوروبا) . وقد تراكم لدية من الاوهام والمعتقدات والتخيلات والتفكير الرغبي ما جعله ـ كالفلسطيني ـ غير قادر على التفكير بالبديل . فخياره الوحيد هو فلسطين ، ومشكلة الاخر لا تعنيه ابدا ما دام غارقا في مشكلته حتى الاذنين ، وهو مستعد لذبح الاخر او تشريده او اذلاله لان هدفه يعميه من جهة ، ولانه يتصور هذا العمل خدمة للحضارة من جهة اخرى.

اذن معضلة « النقيض » ان كل طرف يعتقد ان اختياره الوحيد كامن في مصارعة الاخر على الارض والوجود العين فوق الارض . وبالطبع هناك فروق بين الطرفين من عدة جوانب،ولكن جوهر المسألة يبقى في هذه القناعة وفي ذلك الاختيار وحيد الجانب لدى الطرفين . ان كلمة « القدس » مملوءة بالمعاني الوجودية والوطنية والتاريخية والعاطفية والدينية لدى الطرفين ، وهي تهز كل واحد منهما حتى عمق اعماقه . ها هو « علي » يناجي امه : « .. وعندما يقولون جئنا بالعنف لتحرير القدس ستقولين يا امي هذا هدفي ايضا ، فالقدس لك مثلما هي لهم مدينة مقدسة . لكنك لم تتعلمي العنف حتى الان . واذا فعلت وجدت نفسك سجينة او مطاردة » (ص ١١٢ من الرواية) .

ويرجى الا يوحي هذا الكلام لأحد من الناس بأن المؤلف محايد او مقتنع بالحجج العربية والصهيونية على حد سواء . ان العاطفة السائدة في الرواية هي العاطفة الوطنية الفلسطينية الانسانية غير الشوفينية . ولكن المؤلف يحب دائما ان يؤكد ان حدة النقيض (وبالتالي صعوبته وتعقده) ناجمة ، في جانب كبير منها ، عن توافر القناعة لدى كل طرف بحقه التاريخي والقومي والوجودى والديني في الارض المتنازع عليها .

وبالطبع ، يترتب على ذلك ان العالم يمكن ان يضلل بسهولة من قبل الطرف الاقوى والاوسع حيلة (الصهيوني)، وكذلك يمكن ان تكون جولة الصراع لصالح الطرف الاقوى : فيبقى لاحد الطرفين فضل القوة . ومن هنا ايضا ، لم يكن من خيار امام الجانب العربي الا ان يعد نفسه للمواجهة وبالتحالف مع اصدقائه الطبيعيين (الطبقة العاملة او المناضلة ضد الفاشية) .

٣ ـ النقيض غير متكافىء الطرفين من حيث القوة . فعلى جانب منه هناك الطرف الصهيوني المدبر ، المتسلل بحذر ، المزود بالقوة وبالمكر ايضا (كابليوك)، وعلى الجانب المقابل هناك الطرف العربي البسيط الطيب القادر على تحمل العذاب العاجز عن الحقدالمستعد ابدا للغفران .

وهكذا في باريس (بعد الذى صار) يلجأ « كابليوك » الى غرفة علي الذي يستضيفه ويعطيه مفتاح الغرفة . ولم يكن علي غبيا ولا سانجا،ولكنه كان انسانا سويا لاحظ ان صاحبه محتاج ومطرود ومشرد ، فلم يتفحص موقفه ولم يحسب حساب المستقبل،لا لعجزه عن ذلك ـ فيما يبدو من الرواية ـ ولكن ربما لانه وجد نفسه اسير قدرية خفية . ان مشكلة « علي » ليست في كونه قد وجد مسوغات خاطئة لقبول «كابليوك»، وانما هي في كونه قد اغفل مناقشة الموضوع ، كأنما كانت ارادته مشلولة او يقظته غير ناجزة . وحتى حين يخامره شعور بسوء تقدير فعلته (فتح الباب على مصراعية) فانه لا